

الصبر

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الصبر ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٥-٠٩-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الصبر ٣- الوعظ والإرشاد أ.العنوان

ديوي : ٢١٢,٢ ١٤٣٠/٢٠٧٧

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

الصبر



١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً لا يُهزم، وحصناً لا يُهدم، ومطيّة لا يضل راكبها، فهو والنصر متلازمان، فإن النصر مع الصبر، ومحلُّه من الظفر محلُّ الرأس من الجسد، وهو سبيل النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

والصبر زاد المجاهد إذا أبطأ عنه النصر، وزاد الداعية إذا أبطأ عنه الناس بالإجابة، وزاد العالم في زمن غربة العلم، فهو زاد الكبير والصغير، والرجل والمرأة، فبالصبر يعتصمون، وإليه يلجئون، وبه ينطلقون.

فما الصبر؟ وما أنواعه؟ وما ثمراته؟ وكيف نصل إليه؟ وما العوائق والآفات التي تقف في سبيله؟

هذا ما سنتطرق إليه في هذا الكتيب **التاسع** ضمن

سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية، وشاركني في إعدادها الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

ونسأل الله الإعانة على ذلك، إنه سميع مجيب الدعاء.



تعريف الصبر

الصبر في اللغة:

الحبس، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف:٢٨] يعني: احبس نفسك معهم.

وقال بنو إسرائيل كما أخبر الله عنهم: ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البقرة: ٦١]. أي: لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد.

وقُتِلَ فلان صبراً أي: حُبِس لأجل أن يُقتل حتى قُتِل.

يقال: صبر يصبِر صبراً.

والصَّبْر نقيض الجزع، والرجل صابرٌ، وصبَّار، وصبير، وصبور، والأنثى صبور أيضاً.

والتصبر: تكلف الصبر.

وقيل: مراتبُ الصَّبْرِ خَمْسةٌ: صابِرٌ، ومُصْطَبِرٌ، ومُتَصَبِرٌ، وصَبُورٌ، وصَبَّارٌ.

فالصابر: أعمها. والمُصْطبِرُ: المُكتسِب للصبر المُبْتلى به. والمُتَصَبِّر: مُتكلِّف الصبر حامل نفسه عليه. والصَّبُور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره. والصبار: الشديد الصبر[1].

والصبر في الاصطلاح:

حبس النفس عن محابها، وكفها عن هواها.

أو حبس النفس على فعل شيء أراده الله، أو عن فعل شيء نهى الله عنه.

ولذلك قيل للصابر على المصيبة: صابر؛ لأنه كَفَّ نفسه عن الجزع.

وسمي رمضان بشهر الصبر لأن المسلمين يحبسون أنفسهم عن تناول الطعام والشراب والشهوات فيه[2].

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٤٣٧)، القاموس المحيط (١/ ٥٤١).

(٢) ينظر تفسير الطبري (١/ ٢٩٨).

مراتب الصبر

الصبر ليس مرتبة واحدة، بل هو على مراتب، وبعض تلك المراتب أفضل من البعض الآخر.

فالصبر على طاعة الله أعلى منْزلة من الصبر عن المعاصي؛ لأن جنس فعل الواجبات أعلى درجة عند الله من جنس ترك المحرمات.

والصبرُ عن المعاصي أعلى منْزلة من الصبر على الأقدار المؤلمة؛ لأن الصبر على الواجب والصبر على ترك الحرام عملية اختيارية، لكن المصيبة شيء أُجْبِر العبد على الوقوع فيه، لذلك كان الصبر عليه أنزل درجة من الصبر على طاعة الله وعن معصيته.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (سمعت ابن تيمية يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر.

وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس، ولاسيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة،فإنه كان شاباً، وداعية الشباب إليها قوية، وعزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ومملوكاً والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصَّغَار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟!.

والصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية)[1].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٥٦-١٥٧).

حكم الصبر

لقد أمر الله سبحانه بالصبر فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥]

كما أنه سبحانه نهى عن ضده، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال لمن واجه المشركين: ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥]، وقال: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والصبر تدور عليه الأحكام التكليفية الخمسة: فمنه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو مباح.

ومما يدل على أن الصبر قد لا يكون لازماً قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦] فيجوز للمظلوم أن يقتص

من ظالمه بمثل ما ظلمه، ولكن ترك الانتقام والصبر عن ذلك خيرٌ من الانتقام.

فَدَلَّ ذلك على أن من الصبر ما يكون مستحباً، ولو كان واجباً بكل أنواعه لأوجب الله سبحانه الصبر في هذه الحالة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (الصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب، وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب، وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب، وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح)[(١)].

فالصبر واجب في الواجبات، وواجب عن المحرمات، وواجب في عدم الجزع والتسخط على أقدار الله المؤلمة.

فالصبر على صلاة الفجر واجب.

والصبر عن الزنا ومسبباته واجب.

والصبر عند المصيبة بمنع النفس عن النياحة والتسخط واجب.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٣).

ومستحب على المندوبات، وعن المكروهات.

فالصبر على قيام الليل مستحب.

والصبر عن شرب الماء قائماً مستحب.

وقد يكون مكروهاً إذا صبر عن المستحب ولم يفعله، وصبر على فعل المكروه.

وقد يكون محرماً وذلك بالصبر على المحرمات.

كصبر الرجل على من يقصد أهله بسوء وهو قادر على دفعه.

وقد يكون مباحاً وهو الصبر على المباحات أو عنها.

أنواع الصبر بحسب محله

الصبر نوعان:

١ - بدني.

٢- ونفسي.

وكل منهما قسمان: اختياري واضطراري، فصارت القسمة أربعة:

١ - بدني اختياري: كتعاطي الأعمال الشاقة.

٢- بدني اضطراري: كالصبر على ألم الضرب؛ لأنه يُضرب وماله حيلة إلا الصبر.

٣- نفسي اختياري: كصبر النفس عن استماع الموسيقى مثلاً.

٤- نفسي اضطراري: كصبر النفس عن فقد المحبوب الذي حيل بينها وبينه.

والبهائم تشارك الإنسان في النوعين الاضطراريين، ولكن الصبر الاختياري هو الذي يميز الإنسان عن البهيمة.

وقت الصبر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتَّقِي الله وَاصْبِرِي**» قالت: إليك عَنِّي، فإنك لم تُصَبْ بمُصيبتي! ولم تعرفه- فلم يشأ ﷺ أن يجادل المرأة في هذه الحال، وهذا هو الموقف الصحيح للداعية في مثل هذا الحال- فقيل لها: إنه النبي ﷺ!! فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**»(١).

قال القرطبي: إنما الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه إنما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها، فإنه يدل على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، وأما إذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذ ذاك، ولذلك قيل: (يجب على كل عاقل أن يلتزم عند المصيبة ما لابد للأحمق منه بعد ثلاث)(٢).

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم(٩٢٦).
(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٧٤).

حقيقة الصبر

الصبر على طاعة الله:

الصبر على طاعة الله أعظم أنواع الصبر وأشده على النفوس، وقد أمر تعالى به في مواضع من كتابه فقال: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ [مريم: ٦٥]، ولفظ (اصطبر) أكمل وأبلغ من لفظ (اصبر) لأن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، وقال تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ [طه: ١٣٢] أي: اصبر على الصلاة وعلى أمر الزوجة بالصلاة.

وحقيقة الصبر على الطاعة إنما تكون في ثلاثة أحوال:

قبل الطاعة: وذلك بالصبر على تصحيح النية، وطرد شوائب الرياء.

وأثناء الطاعة: وذلك بالصبر على عدم الغفلة عن الله فيها، وعدم التكاسل في أدائها، ومراعاة واجباتها وأركانها ونحو ذلك.

وبعد الفراغ منها: وذلك بالصبر على عدم إفشائها، وعدم العُجْب والمَنِّ بها، قال تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣].

الصبر عن المعاصي:

وهو مثل سابقه، فيجب الصبر عن المعصية **قبل تركها** باستحضار النية، **وأثناء الترك** بالصبر عنها وعدم مزاولتها، **وبعد ذهاب داعي المعصية** بعدم العجب بتركها.

الصبر على المصائب:

قال مجاهد: (الصبر الجميل الذي لا جزع فيه)[(١)].

فالذي ينافي الصبر هو مثل ما يحدث من النائحات وغيرهن، من لطم الخدود، وشق الجيوب، وضرب الرؤوس، مع الصراخ والعويل والدعاء بدعوى الجاهلية.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦١٩).

وأما أن يخبر الإنسان الطبيب بعلته ليداويه فلا بأس بذلك، وكذا أنين المرض وتألمه الذي يقصد به الاستراحة والتنفيس عن ألمه.

وأما قول سفيان الثوري رحمه الله: (ثلاث من الصبر: أن لا تحدث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكي نفسك)[١].

فالمقصود به، ألا تحدث بوجعك ومصيبتك على سبيل التسخط وعدم الرضا، إما إذا حدثت بها وأردت من وراء ذلك غرضاً صالحاً، كأن تسأل الناس عن سبيل علاج مرضك، أو كيفية الخروج من مأزقك، وهكذا؛ فإن هذا ليس من باب التسخط، ولا يخرج الإنسان عن كونه صابراً.

وليس كل من يَدَّعي الصبر يكون صابراً؛ بل إن كثيراً من الناس يكون ظاهر حاله الصبر على المصيبة، ولكنه في قرارة نفسه قد أصابه الجزع.

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٦٠).

ثمرات الصبر

إن الصبر وسيلةٌ للحصول على ثمراتٍ كثيرة، ومنافع جمة، وفوائد عظيمة، كما أنه يعود على المؤمن بكل خير وفلاح.

لأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ المُنَى
فَمَا انْقَـادَتِ الآمَالُ إِلاَّ **لِصَابِـرِ**[(١)]

وانظر إلى نبي الله يوسف عليه السلام حينما صبر على حبسه أوصله ذلك إلى الملك.

أَمَـا فِي رَسُولِ اللهِ يُوسُفَ أُسْـوَةٌ
لِمِثْلِكَ مَسْجُوناً عَلَى الظُّلْمِ وَالإِفْكِ
أَقَامَ جَمِيلُ الصَّبْرِ فِي الحَبْسِ بُرْهَةً
فَأَسْلَمَهُ الصَّبْرُ الجَمِيلُ إِلَى المُلْكِ[(٢)]

قال الغزالي: (وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف

(١) روح المعاني (٤/ ١٧٦) .
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٩) .

وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر، وجعلها ثمرة لها)[١].

وإليك بعض هذه الثمرات التي ينتجها الصبر للصابرين:

الفلاح نتيجة للصبر:

ربط القرآن بين الصبر والفلاح، وجعل الفلاح نتاجاً للصبر، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فعلّق الفلاح بمجموع هذه الأمور.

سبب لعدم الخسران:

حكم الله بالخسران على بني الإنسان إلا من آمن وعمل صالحاً وكان من الصابرين، فقال: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٦١).

حصول المغفرة والأجر الكبير:

رُتِّبت المغفرة والأجر الكبير على الصبر مع العمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١].

الصبر طريق الجنة:

بشر النبي ﷺ الذي يصبر على فقد عينيه بالجنة، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ الله قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ؛ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**»[1] يريد عينيه.

ولا يقبض لمؤمن صفي من أهل الأرض فيصبر ويحتسب إلا كان له الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَقُولُ الله تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّة**»[2].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٢٤).

وهذه امرأة بشرها النبي ﷺ بالجنة إن صبرت على الصرع، فعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أُرِيكَ امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «**إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيَكِ**». فقالت: أَصْبِرُ! فقالت: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ الله لِي أن لا أَتَكَشَّفَ، فدعا لها[1].

وخاطب تعالى المؤمنين وبين لهم أن دخول الجنة يسبقه ابتلاء، ولابد من الصبر على ذلك الابتلاء، فقال تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وعن علي بن الحسين قال: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم أهل الصبر. فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة. فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا:

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).

ما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله عَزَّوَجَلَّ. قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين)[١].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»[٢].

فكيف تدخل الجنة بدون صبر على المكاره؟ وكيف تقي نفسك النار بدون صبر عن الشهوات؟.

فالحديث يدل على أنه لا طريق للجنة إلا عبر المكاره؛ لأنه قال: (حُفّت) أي: من جميع الجهات، فإذا لم تركب المكاره لم تدخل الجنة، فلا يمكن دخول الجنة إلا باختراق المكاره، ولا يمكن اختراقها إلا بالصبر، وأما النار فإنها حفت بالشهوات، ولا يمكن إنقاذ النفس من دخول النار إلا بالصبر عن المعاصي.

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٣٩-١٤٠).

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٣).

سلام الملائكة على الصابرين في الجنة:

أخبر الله تعالى أن ملائكته تسلّم في الجنة على الصابرين فقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤].

بيت الحمد:

إذا صبر العبد على فقد الولد عوضه الله عن ذلك ببيت له في الجنة اسمه بيت الحمد، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ الله لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ الله: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»[1].

عدم ضياع الأجر:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٢١) وحسنه.

الحصول على ثواب الله:

قال تعالى عن أهل العلم الذين علَّموا قومهم المفتونين بقارون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠].

مضاعفة أجر الصابرين:

أخبر سبحانه وتعالى عن مضاعفة الأجر للصابرين فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص: ٥٤].

وإذا كانت الأعمال لها أجر معلوم محدود فإن الصبر أجره لا حد له، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

قال سليمان بن القاسم: (كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، قال: كالماء المنهمر)[١].

(١) ذم الهوى (٦٠).

وقال الأوزاعي: (ليس يوزن لهم ولا يكال لهم، إنما يغرف لهم غرفاً)[١].

نيل الإمامة في الدين:

علق الله الإمامة في الدين على الصبر وعلى اليقين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (الصبر واليقين بهما تُنال الإمامة في الدين)[٢].

معية الله سبحانه وتعالى:

جعل الله معيته للصابرين فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨).

حصول الصابر على العون:

جعل سبحانه وتعالى الصبر عوناً وعدة، وأمر بالاستعانة به، فقال: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥]، فمن لا صبر له لا عون له.

حصول النصر:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»(١).

وقد أمد الله الصحابة بالملائكة حينما صبروا واتقوا، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وكان من أسباب انتصار بني إسرائيل على فرعون صبرهم على ما أصابهم، قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا

(١) رواه أحمد (٢٨٠٠)، وصححه الأرنؤوط.

مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

يقول الشافعي: (أصل الصبر الحزم، وثمرته **الظفر**)[١].

النجاة من كيد الأعداء:

جعل سبحانه الصبر والتقوى جُنَّةً عظيمة من كيد العدو ومكره فقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

الصلاة من الله والرحمة والهداية:

جعل سبحانه للصابرين أموراً ثلاثة لم يجعلها لغيرهم، وهي الصلاة منه والرحمة والهداية، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

(١) تاريخ دمشق (٥١/ ٤٠٨).

نيل محبة الله سبحانه:

علّق تعالى محبته بالصبر، وجعلها لأهل الصبر فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

نيل ثناء الله سبحانه:

كما أثنى الله على عبده أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأحسن الثناء لأنه صبر فقال: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤].

الصبر ضياء:

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

الانتفاع بالآيات:

أخبر عز وجل أنه لا ينتفع بآياته ولا يستفيد منها إلا صاحب الصبر المكثر منه، فأتى به بصيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥]، وفي سورة لقمان قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [لقمان: ٣١]، وبعد قصة سبأ قال: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٩]. وفي ذكر نعمةٍ منَّ الله بها على العباد، وهي الفلك التي تنقلهم وتنقل بضائعهم، تلك النعمة التي لا ينتفع بالتدبُّر فيها إلا الصابرون؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [الشورى: ٣٢-٣٣]. فهذه أربعة مواضع في القرآن الكريم تدل على أنه لا ينتفع بالآيات إلا أهل الصبر والشكر.

نيل المطلوب والحصول على الحاجة:

قال بعضهم:

لاَ تَيْأَسَــنَّ وَإِنْ طَالَـــتْ مُطَالَبَــةٌ
إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَـرَى فَرَجَـا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ
وَمُدْمِنِ القَـرْعِ لِلأَبْـوَابِ أَنْ يَلِجَا(١)

وقال الآخر:

وَقَــلَّ مَــنْ جَــدَّ فِي أَمْــرٍ يُحَاوِلُـهُ
وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلاَّ فَازَ بِالظَفَرِ(٢)

إخلاف الله عليه:

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٣٣-٣٤).
(٢) المستطرف (٢/ ١٢٥).

مِنْهَا؛ إِلاَّ أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْراً مِنْهَا»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أَيُّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ ... ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ[١].

والصبر سبيل العز في الدنيا:

إن الصبر هو طريق لينال العبد به عز الدنيا، وذلك لأنه لا يحني رأسه للناس، ولا يتطلع إلى ما في أيدي الغير.

في غزوة اليرموك نادى أبو الأعور السلمي: (يا معشر قريش، خذوا نصيبكم من الأجر والصبر، **فإن الصبر في الدنيا عز ومكرمة**، وفي الآخرة رحمة وفضيلة، فاصبروا وصابروا)[٢].

قال سليم بن المهاجر الجيلي:

كَسَوْتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ وَجْهِي فَصَانَهُ
بِهِ الله عَنْ غِشْيَانِ كُلِّ بُخِيلِ[٣]

(١) رواه مسلم (٩١٨).
(٢) تاريخ دمشق (٤٦/ ٥٦).
(٣) المستطرف (١/ ١٥٩).

مجالات الصبر

إن أصل الصبر يقع في ثلاثة أمور: الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى قضائه وقدره. وإذا أردنا أن نُفَرِعَ عن تلك الأمور مجالاتٍ أخرى لوجدناها عديدة، ونذكر هنا أهم تلك المجالات التي تمر بالإنسان كثيراً، والتي لها أهمية خاصة.

١- **الصبر على بلاء الدنيا:** إن الدنيا بطبيعتها مليئة بالمتاعب والمصاعب، ولا يمكن لشخصٍ أن ينال فيها السعادة والهناء فقط، بل لابد أن يبقى في معاناة دائمة ما دام فيها، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] أي في مشقة وعناء وبلاء وفتنة، وقال: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

٢- **الصبر على مشتهيات النفس:** قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩].

عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (ابْتُلِينَا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالضَّرَّاءِ فصبرنا، ثم ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بعده فلم نصبر)[١].

فبعض الناس إذا ابتلي بالسجن مثلاً يصبر، ولكنه إذا ابتلي بالسراء بعد ذلك وفتحت عليه الدنيا والأموال والعيال فإنه لا يصبر، فليس كل الناس سواء في الصبر، وقالوا: (البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا صدّيق)[٢].

والصبر على مشتهيات النفس لابدّ أن يكون من وجوه أربعة:

أ- أن لا يركن إليها ولا يغترّ بها.

ب- أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها، كما يفعل بعض أصحاب الأموال، ممن لا يجدون وقتاً حتى للصلاة أو ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فوقته مليء بالاجتماعات والسفريات، وليس عنده وقتٌ لذكر الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٤) وحسنه.

(٢) تسلية أهل المصائب (١٨٥).

وبعض أصحاب الوظائف من حرصه على وظيفته يضيع العبادات والواجبات الشرعية ويرتكب المحرمات من أجلها، فهو منهمك في عمله، وعمله عنده هو كل شيء، فهو يعبد العمل، كما قال أحد حكماء الإنجليز: (إن الناس في بريطانيا يعبدون البنك المركزي ستة أيام في الأسبوع، ثم يتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة!).

ج- أن يصبر على أداء حق الله فيها، كالزكاة وحقوق ذوي الأرحام والصدقات.

د- أن لا يصرفها في حرام.

٣- ومن مجالات الصبر: **الصبر عن التطلع إلى ما بيد الآخرين**، وعدم الاغترار بما يَنْعمون به من مال وبنين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]، أي: إنما أعطيناهم لنفتنهم.

وبعض قوم قارون لم يصبروا على ما هم فيه من قلة ذات اليد فقالوا: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٩]، والله تعالى قد بَيَّن أن بعض الناس قد يُرزق

المال والبنين استدراجاً ومسارعة في الخيرات، فقال: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

٤- ومن مجالات الصبر العظيمة: **الصبر على مشاق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى**، فإنه غير خافٍ على الدعاة حال الناس اليوم من البعد عن الدين، وهذا البعد يستلزم دعوة كبيرة وإنكاراً للمنكرات وصدعاً بالحق، فعمر بن عبد العزيز -رحمه الله- لما استشعر المسؤولية الكبيرة في تغيير الانحرافات المتراكمة قال: (ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره)[1].

وهذا نوح عليه السلام صبر صبراً عظيماً في الدعوة، فصبر ألف سنة إلا خمسين عاماً على جميع أنواع الابتلاءات: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٢).

دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح: ٥-٦].

ثم إن مشاق الدعوة ليست بدنية فقط وإنما قد تكون نفسية بما يسمعه الداعية من كلام أعداء الدعوة المؤذي له نفسياً: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠].

بل قالوا لأقوامهم: ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وهكذا يصبر الداعية على طول الطريق وعقباته، وبطئ النصر وتأخره: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ

ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وعلى الداعية أن يعلم أن النصر قادم لا محالة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠].

فكل من قام بحقٍّ، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، فلابد أن يؤذى؛ فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله عز وجل.

٥- وهناك **صبر حين البأس** عند لقاء العدو والتحام الصفين، والصبر في هذه اللحظات شرط للنصر، والفرارُ كبيرةٌ من الكبائر، لذلك أوجب الله الثبات ﴿ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ [الأنفال: ٤٥] وحذر من الفرار وتولي الأدبار، وعندما تضطرب المعركة وينفرط العقد يكون الصبر أشد: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ

أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقد حدثنا الله عن الثلة المؤمنة والبقية الباقية والصفوة بعد عمليات الترشيح المستمرة في قصة طالوت: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. فهم عصوه من قبل عندما شربوا منه، والفئة الباقية كان بعضهم استسلاميين، ومع ذلك بقيت فئة صابرة قاتلت وانتصرت.

٦- ومن مجالات الصبر المهمة: **الصبر في طلب العلم**؛ فإن طلب العلم فيه مشقة عظيمة، وطالب العلم إذا لم يتصف بالصبر فإنه لا يصل إلى سبيله.

ولذلك قال الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨]، فأجابه وقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

ومن الصبر في طلب العلم عدم التصدر والإفتاء قبل بلوغ منْزلة العلماء.

ويدخل ضمن هذا صبر المعلم على تلميذه، فيصبر على تعليمه، ومشاق تفهيمه للمسائل، ومتابعته في حفظه ومذاكرته، وهكذا.

الأسباب المعينة على الصبر

هل الصبر وهبي أم كسبي؟

كثيرٌ من الناس ممن يجزع عند المصائب إذا نُصِح في ذلك يقول: إن الله سبحانه لم يرزقني الصبر على المصائب. أو إذا أمر بنوعٍ من أنواع العبادة زعم أنه لم يُمْنَح الصبر عليها، وهكذا.

فيعتقد أن الصبر إنما هو هبةٌ من الله، لا يستطيع الإنسان تحصيلها.

ولو كان الصبر لا يحصل بالاكتساب لوقفنا عاجزين أمام هذه النصوص الآمرة به، ولكن ورد في السنة ما يفيد أن الصبر خُلُقٌ يمكن تحصيله، فعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله**»[(١)].

مع التسليم بأن الناس في أصل خلقتهم وجِبِلَّتِهم بعضهم أكثر صبراً وتحملاً وجلداً من البعض الآخر.

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩).

فالصبر عملٌ قلبيٌّ قد يكتسبه الإنسان بعد توفيق الله بكثرة المران، والرياضة النفسية، والتدريب عليه، ومجاهدة النفس، مع الاستعانة بالأسباب التي تعينه على الصبر.

فما الأسباب التي تعين على الصبر؟.

١- من الأسباب المعينة على الصبر: **معرفة طبيعة الحياة الدنيا** وما جُبِلت عليه من المشقة والعناء، وأن الله خلق الإنسان في كبد، وأنه كادح إلى ربه كدحاً فملاقيه، وأن الآلام والتنغيص من طبيعة هذه الدنيا والابتلاءات، فلا يمكن أن تكون هناك دنيا بدون ابتلاءات ومنغصات.

قال أبو الحسن التهامي:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا
صَفْواً مِنَ الأَقْذَاءِ وَالأَكْدَارِ
وَمُكلِّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِباعِهَا
مُتَطَلِّبٌ فِي المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ[١]

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/ ٢٢٣).

ومن لا يعرف هذه الحقيقة سيفاجأ بالأحداث، أما الذي يعرف طبيعة الحياة الدنيا فإنه إذا حصل له أي ابتلاء أو منغص؛ وجد في قلبه ما يهون الأمر لديه.

٢- **الإيمان بأن الدنيا كلها ملك لله تعالى**، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، ولذلك فإذا حرم الإنسان من شيء وابتلي فعليه أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

والعبد وأهله وماله ملك لله، وإنما هم عارية جعلها الله عنده، وصاحب العارية متى ما شاء استرداد عاريته استردها، وأم سُليم رضي الله عنها لما فقهت هذا كان لها مع أبي طلحة ذلك الموقف المشهور، حينما مات ولده الذي يحبه فقالت له: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك[1].

(١) رواه مسلم (٢١٤٤).

٣- **معرفة الجزاء والثواب على هذا الصبر**، قال تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]. قال ابن القيم رحمه الله: (ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر)(١).

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِيْنَ يُعْطَى أَهْلُ البَلاَءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ**»(٢).

٤- **نية الصبر**: قال عبد الواحد بن زيد: (من نوى الصبر على طاعة الله صَبَّره الله عليها وقَوَّاه لها، ومن نوى الصبر عن معاصي الله أعانه الله على ذلك وعصمه منها)(٣).

٥- **الثقة بحصول الفرج**، فالله جعل مع كل عسر يسرين رحمة منه عز وجل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥:٦]، والله ينْزل المعونة على قدر البلاء، وهو

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٦٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٢)، وحسنه الألباني.

(٣) حلية الأولياء (٦/ ١٦٣).

لا يخلف الميعاد، ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠]، وسينبلج الفجر ولو بعد ليل طويل.

اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِـي قَـدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالبَلَجِ[١]

ويعقوب عليه السلام صبر على فقد يوسف عليه السلام واثنين من أولاده، وقال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ٨٣] لا تسخّط فيه ولا جزع، وقال: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [يوسف: ٨٣]، وشكى بثه وحزنه إلى الله: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] ولم يشكُ إلى المخلوقين؛ فحصل له الفرج بعد ذلك واجتمع له أولاده جميعاً.

٦- ومما يعين على الصبر: **الاستعانة بالله تعالى** واللجوء إلى حماه وطلبه معونته سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧]، قال ابن كثير: (إخبار بأن الصبر لا ينال إلا بمشيئة الله وإعانته وحوله وقوته)[٢].

---

(١) روح المعاني (١٣/ ٧٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٨١).

٧- وكذلك فإن **الإيمان بالقضاء والقدر** من أعظم ما يعين على الصبر، وأن يعلم العبد أن قضاء الله نافذ، وأن يستسلم لما قضاه وقدره مما لا حيلة له به: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]، ثم إن العبد يعلم أن الجزع والهلع والتبرم والاعتراض والتشكي والتضجر لا يجدي شيئاً ولا يعيد مفقوداً، والعاقل هو الذي يتحلى بالصبر عند وقوع المصيبة، بعكس الجاهل الذي يجزع ويتضجر، ثم لا يجد له مآلاً بعد ذلك إلا في الصبر، ولو أنه صبر منذ اللحظة الأولى لكان خيراً له.

٨- ومما يعين على الصبر **معرفة أن الابتلاء فيه إشعار بصلاح العبد المبتلى على حسب قوة البلاء**، عن سعد رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ**

حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[١].

٩- التأمل في قصص الصابرين من أعظم الأسباب المعينة على الصبر:

كقصص الأنبياء مثلا، فهي مدرسة يتعلم منها الإنسان حقيقة الصبر، فالأنبياء بشرٌ مثلنا قبل أن يكونوا أنبياء.

فهذا **نوح** عليه السلام صبر في دعوته لقومه صبراً عظيماً دام ألف سنة إلا خمسين عاماً جهاداً ودعوةً، وصبر على الإيذاء والسخرية، اتهموه بالجنون والضلال وهو يقابل ذلك بالصبر حتى قالوا: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وصبر على كل ذلك.

وإبراهيم عليه السلام تعرض لمحنة عظيمة، فصبر صبر الموحد الموقن بوعد الله، ولما أُلقي في النار كان آخر قوله: (حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ)[٢]، ولما أُمِر بذبح ولده صبر وهمّ بذبح الولد، وأخذ السكين وأضجع الولدَ استسلاماً لأمر الله.

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨) وقال: حسن صحيح.
(٢) رواه البخاري (٤٢٨٨).

وأُمِر بترك زوجه وولده في وادٍ غير ذي زرع، فصبر على ذلك، وابنه حديث عهد بولادة، وإبراهيم كان عقيماً، وما وُلِدَ له إسماعيل إلا بعد سنواتٍ طويلةٍ جداً، وقد دخل في عهد الشيخوخة التي يحتاج فيها أكثر ما يحتاج إلى الولد الذي يعينه، ومع كل هذا صبر وترك ابنه وأمه حيث أُمِرَ بتركهما، وقالت له هاجر: أَين تذهب، وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟. فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: الله الّذي أمرك بهذا؟ قال: نعم! قالت: إذن لا يضيعنا[1].

فرجع إبراهيم للشام ورزقه الله من سارة بإسحاق، ومن ورائه يعقوب، وأنعم على إسماعيل وأمه بزمزم، وغيره من النعم.

وموسى عليه السلام واجه التهديد والإيذاء من قومه، وقوم فرعون قبلهم، فصبر على دعوة القومين! فصبر على دعوة فرعون واضطهاده وأذاه وتهديداته حتى أهلكه الله، وصبر على بني إسرائيل بعد ذلك مع أذاهم له.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٤).

وكان النبي ﷺ إذا أوذي تذكر أخاه موسى فقال: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[(١)].

وعيسى عليه السلام عانى من بني إسرائيل التهم الباطلة، وتآمرهم على قتله وصلبه وصبر حتى رفعه الله إليه.

وخاتم الأنبياء ﷺ كم تعرض للأذى والاضطهاد، فقالوا عنه: مجنونٌ ساحرٌ، كذاب، خائن، وأشد شيء على الصادق أن يتهم بالكذب، وأشد شيء على العاقل أن يقال عنه: مجنون، وأشد شيء على الأمين أن يتهم بالخيانة، وأشد شيء على المؤمن أن يقال عنه: شاعر ساحر مجنون، وقد كان ﷺ أكمل الخلق وأصدقهم وأعقلهم.

ووضعوا له الشوك، وأخرجوه من بلده، وتآمروا على قتله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقتلوا بعض أصحابه، وعذبوا بعضهم، وأشد شيء على النبي أن يرى أتباعه يُضطهدون ويُقتلون أمامه، فكان

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٥) ومسلم (١٠٦٢).

يمر على ياسر وسمية فيقول لهما: «**صَبْراً يا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ**»[(١)].

وعندما هاجر إلى المدينة عانى من المنافقين معاناة عظيمة، ويكفي منها حادثة الإفك واتهامهم لأم المؤمنين، وصبر على كيد اليهود الذين وضعوا له السم، فكانت نوبات الحمى تنتابه حتى مات في آخر نوبة منها، فكان ذلك سببا في انتهاء أجله.

وهكذا صبر ﷺ حتى أتاه اليقين من ربّه، بعد أن بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة.

وهكذا أصحابه: بلال، وسمية، وصهيب، وعمار، ومقداد رضي الله عنهم، عُذِّبوا بأنواع العذاب وصبروا على ذلك.

وهذا الصحابي خبيب رضي الله عنه، يسجن ليقتل ويصلب، وبالرغم من ذلك يقول:

(١) رواه الحاكم (٥٦٦٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً

عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ لله مَصْرَعِي[١]

وسار على هذا المنوال التابعون وتابعو التابعين.

فعروة بن الزبير من أفاضل التابعين وخيارهم، كان له ولد اسمه محمد من أحسن الناس وجهاً، دخل على الوليد في ثياب جميلة؛ فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش!! ولم يدعُ له بالبركة، فأصابه بالعين، فخرج محمد بن عروة من المجلس فوقع في إسطبل للدواب فلا زالت الدواب تطأه حتى مات.

ثم وقعت الآكلة بعد ذلك في رِجْل عروة، وقالوا: لابد من قطعها ونشرها بالمنشار حتى لا تسري لأماكن الجسد الأخرى فيهلك، فنشروها فلما وصل المنشار إلى القصبة؛ وضع رأسه على الوسادة فغُشي عليه، ثم أفاق والعرق يتحدّر من وجهه وهو يهلل ويكبّر ويذكر الله، فأخذها وجعل يقبلها ويقلبها في يده، وقال: (أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنني ما

---

(١) صحيح البخاري (٣٩٨٩).

مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله)، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت وأمر بها أن تقدم إلى المقبرة، ولما عاد من سفره بعد أن بترت رجله وفقد ولده؛ قال: (لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً).

ولما قالوا له: أنسقيك شيئاً يزيل عقلك حتى لا تشعر بالألم؟ قال: (إنما ابتلاني ليرى صبري)[(١)].

وهذا أحمد بن نصر الخزاعي من كبار علماء السلف، كان قوالاً للحق، آمراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، ثبت في محنة خلق القرآن، حملوه إلى سامراء فجلس مقيداً، وعُرِضَ عليه القول بخلق القرآن فرفض، فضرب عنقه، ونصب رأسه بالجانب الشرقي من بغداد.

يقول جعفر بن محمد الصائغ: (رأيت أحمد بن نصر الخزاعي حين قُتِل قال رأسُه: "لا إله إلا الله"). وهذا من كراماته رحمه الله.

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٨٧).

قال الإمام أحمد -رحمه الله- عنه: (جاد بنفسه في سبيل الله)[(١)].

والإمام أحمد نفسه كيف صبر في محنة خلق القرآن؟!

حُمِل هو ومحمد بن نوح إلى المأمون، ويشاء الله أن يمرض محمد بن نوح فيوصي الإمام أحمد بالصبر ويموت في الطريق، ويؤخذ الإمام أحمد -رحمه الله- مقيداً، ودخل عليه بعض الناس قبل الدخول على الخليفة يذكرونه بأحاديث في التقية، وأنه يمكن للمرء عند الشدة أن يُوَرِّي حتى تمضي العاصفة، فقال: كيف تصنعون بحديث خبّاب؟ يقصد حديث خَبَّابِ بن الأَرَتِّ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ**»[(٢)]. فيئسوا منه وتركوه.

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٧).
(٢) رواه البخاري (٣٦١٢).

وقال الإمام أحمد: اللهم لا تريني وجه المأمون، فمات المأمون قبل أن يصل أحمد، وعُيِّن الخليفة الذي بعده والمحنة ما زالت مستمرة، فيقول له بعضهم: يا أحمد إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، ولكن يضربك ضرباً بعد ضرب حتى تموت. فأبى الرجوع.

وقال الخليفة للإمام أحمد: أتعرف صالح الرشيدي؟ قال: سمعت به. قال الخليفة: كان مؤدبي، فسألته عن القرآن فخالفني، فأُمِرت به فوطيء وسُحِبَ حتى مات.

ثم ربطوا الإمام أحمد، وجاء الجلادون وكل فرد منهم يضربه سوطين، ويقول الخليفة للجلاد: شدّ يداً قطع الله يدك، ويتعاقب عليه الجلادون؛ لينال أحمد -رحمه الله- أعظم العذاب بالضرب على أيديهم، ثم يقول الخليفة: علامَ تقتل نفسك إني عليك لشفيق. وجعل القائم على رأسه ينخسه بالسيف، وذاك يقول: ويحك يا أحمد ما أجبتني، أجبني إلى أي شيء يكون لك فيه فرج حتى أطلقك. فيقول الإمام أحمد: يا أمير المؤمنين أعطني شيئاً من كتاب الله ومن سنة

رسول الله ﷺ يدل على ما تقول. فيأتي الجلاد ويضرب، وهكذا تستمر عملية الضرب، حتى ذهب عقله فأفاق والأقياد في يده، فقال له رجل: كببناك على وجهك، وجعلنا فوقك حصيراً، ووطئنا عليك، فقال الإمام أحمد: ما شعرت بذلك.

ثم مكث في السجن حتى خُلّي عنه بعد ثمانية وعشرين شهراً.

يقول أحد السلف عن الإمام أحمد: (رجل هانت عليه نفسه في سبيل الله فبذلها، كما هانت على بلال نفسه، لولا أحمد لذهب الإسلام)[١].

فسِيَر هؤلاء العظماء إذا تذكرها المرء حال شدته ومحنته؛ أعانته على الصبر والتجلد وعدم الجزع.

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ١٧١-٢٠٣).

آفات تنافي الصبر

إن كل عملٍ من أعمال الخير تواجهه بعض العوائق والآفات التي تقف في طريقه، وتعيق المؤمن عن استكمال جوانبه، وتحقيق صورته، وفي طريق الصبر بعض الآفات التي تنافيه، وفيما يلي أهم تلك الآفات.

١- **الاستعجال:** إن الإنسان في طبيعته وجِبِلَّتِه عجول؛ لأن الله سبحانه قد خلقه على هذه الصورة: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، فعلى الإنسان أن يتأنى ويصبر حتى يحصل على الثمرة ولو بعد حين، وقد أمر سبحانه نبيه بالصبر وعدم الاستعجال أسوة بالأنبياء أولي العزم فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ولقد باءت كثير من الدعوات الإصلاحية بالفشل لأن أصحابها استعجلوا قطف الثمرات قبل أوانها ولم يتمهلوا.

٢- **الغضب:** وهو من الآفات التي تنافي الصبر، وقد حذر

الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ من الغضب، فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨].

٣- **اليأس:** وهو من أعظم عوائق الصبر، ولذلك حذر يعقوب أولاده منه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٧]، والصبر يضيء شمعة الأمل التي هي دواء اليأس، والله لا يخيب ولا يضيع من صبر في سبيله، وسيأتي الفرج ولو بعد حين.

الخاتمة

لقد علمنا النبي ﷺ الصبرَ كوسيلةٍ لمواجهة الأزمات والشدائد، فعن أبي ثعلبة الخُشَني رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»(١).

وقد قصد النبي ﷺ بأيام الصبر أيام الابتلاء في الدين، والشهوات المستعرة، والشبهات المستحكمة، والتي يكون فيها الصبر على الدين كالقبض على الجمر، والصابر في تلك الأيام هو المرء الذي يصبر على دينه، فلا يتزلزل بالشبهات، ولا ينقاد للشهوات، ولا يضعف دينه مهما حصل له من العذاب.

وإنما سماها أيام الصبر لأنه لا يستعمل فيها إلا الصبر، ولا طريق للمسلم إلا الصبر.

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

فَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ أَغْمِضْ عَلَى القَذَى
وَللهِ فَاصْبِرْ وَالْزَمِ الرِّفْقَ وَالحِلْمَا[١]

وقد تنبه السلف الصالح لأهمية هذا؛ فأمروا الناس أن يستعدوا للبلاء بالصبر.

قال حذيفة رضي الله عنه: (تعودوا الصبر، فإنه يوشك أن ينْزل بكم البلاء)[٢].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (من لا يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز)[٣].

وَنُعَــوِّدُ الصَّبْرَ الجَمِيلَ نُفُوسَنَــا
إِنَّ الرِّضَــا بِقَضَائِــهِ أَوْلَـى[٤]

(١) نشر طي التعريف (٨٧).
(٢) شعب الإيمان (٩٧٢٠) والسنن الواردة في الفتن (١٧).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٩٦).
(٤) تبيين كذب المفترى (٢٩١).

وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الهُدَى
فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عِدَّةِ الإِنْسَانِ[(١)]

وكان وصية الصالحين من أهل الأديان السابقة لأبنائهم بالصبر، فهذا لقمان الحكيم يوصي ولده بأن يصبر على ما أصابه في سبيل الله: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

ونحن – اليوم- قد تكالب علينا الأعداء، واستُضْعِف أهل الإيمان والتقوى، وتصدر الفجار والزنادقة، وانتشر الفساد عبر الإنترنت والقنوات الفضائية، فليس لنا اليوم إلا الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على المصائب والأقدار.

فيا ضعيف العزم، الطريق طويل، تعب فيه آدم، وجاهد فيه نوح، وأُلقي في النار إبراهيم، وأُضْجِعَ للذبح إسماعيل، وشُق بالمنشار زكريا، وذبح الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب،

---

(١) نونية القحطاني (٣٩).

وزاد على المقدار بكاء داود، واتهم بالسحر والجنون نبي الله الكريم، وكسرت رباعيته، وشج رأسه ووجهه، وقُتِل عمر مطعوناً، وعذب ابن المسيب ومالك، فلا سبيل إلا الصبر.

واعلم أن الصبر مهما شق عليك وصَعُب فإن عدمه أصعب؛ لأن الصبر عن محارم الله تعالى أيسر من الصبر على عذاب جهنم، والصبر على طاعة الله خير من الصبر على الأغلال.

فنعم المنْزلة هي منْزلة الصبر، ونعم الخُلق هو خُلق الصبر، ونعم الأهل أهل الصبر.

اللهم اجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر، وردموا خنادق الجزع، وجازوا شديد العقاب، وعبروا جسر الهوى، اللهم اجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية، ووضحت لهم طريق النجاة، وسلكوا سبيل إخلاص اليقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة حلولها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١- اذكر أنواع الصبر؟

٢- الصبر تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة، فما هي ؟

٣- هل للصبر المحمود وقت معين؟

٤- ما حقيقة الصبر على الطاعة؟

٥- ما حقيقة الصبر عن المعصية؟

٦- ما حقيقة الصبر على أقدار الله المؤلمة؟

٧- للصبر ثمرات وفوائد، فما أبرزها؟

٨- مجالات الصبر متعددة، فما أهمها؟

٩- ما الأسباب المعينة على الصبر؟

١٠- ما الآفات المنافية للصبر؟

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية):

١- "وجدنا خير عيشنا في الصبر"من القائل؟وما المراد بها؟

٢- لماذا كان صبر يوسف عليه السلام على مراودة امرأة العزيز أكمل من صبره على كيد إخوته؟

٣- هل الصبر خُلق مكتسب أم وهبي؟

٤- "إن من ورائكم أيام الصبر" اشرح هذه الحديث؟

٥- قول سفيان الثوري: "لا تحدث بوجعك، ولا بمصيبتك"، هل له ضابط؟

٦- كيف يصبر العبد على مشتهيات نفسه؟

٧- "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات" ما معنى هذا الحديث؟

٨- لم سمي رمضان بشهر الصبر؟

٩- قوله صلى الله عليه وسلم: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» ما مناسبته؟

١٠- قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن شئتِ صبرت ولكِ الجنة**» ما مناسبته؟

١١- اذكر أبرز الكتب التي تحدثت عن الصبر؟

المحتويات